

الفروق السيكولوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد الحميد



المعروف بين الزكاه والخلق

للشخصية من الموضوعات التي اهتم بدراستها علماء النفس منذ أوائل القرن الحالي . وقد ذهبوا في تحليلها إلى أنها تتكون من عوامل بعضها فيزيولوجي ، وبعضها كيميائي ، وبعضها عقلي ، وبعضها خلقى وعضوي . وقالوا إن نتيجة تفاعل هذه العوامل المختلفة تحت تأثير البيئة التي يعيش فيها الفرد هي التي تكون شخصيته . ومعنى ذلك أنه توجد علاقات فعالة بين كل مجموعة من هذه العوامل وبين بقية المجموعات الأخرى . وسأعالج في هذا الحديث موضوع العلاقة بين الذكاء والخلق ، وأثر هذه العلاقة في حياة الفرد

إن قارئاً أو ملاحظاً ليعتسر عليه - من غير دراسة وإحصاء - أن يجزم بوجود تلازم بين الذكاء والخلق الكريم ، أو العكس ؛ أي بين الذكاء والخلق السيء أو النباء والخلق الكريم . لأن الملاحظة العادية تدل على أنه يوجد بين الأذكياء ، كما يوجد بين الأغبياء ، الشرير والتمرد وكريم الخلق والوديع ، وإن كانت بعض الروايات^(١) والأفلام تظهر شخصيات المجرمين والخطالين في مظهر الأذكياء والمبقرين . وقد بما كان الإغريق يبيحون السرقة لأنها آية الذكاء ، وكانوا يماقبون من يقبض عليه سارقاً ، أو تثبت عليه التهمة ، لأنه غبي لم يستطع أن يفعل فعلته بمهارة ودهاء ، فيفلت من أعين الرقباء ، شأن الذكي الماهر

والذكاء - ولا شك - عامل من عوامل النجاح في الحياة فهو الذي يعين الطالب في حياته الدراسية ، والمحامى في مكتبه ومحكمته ، والتاجر في تجارته ، والزارع في حقله وحديقته . ويختلف أثره في نجاح حياة الفرد باختلاف نوع المهنة التي يقوم بها ؛ فأثره في مهنة التاجر مثلاً أقوى وأظهر منه في وظيفة عامل

(١) يجد القاري معظم الأبطال المجرمين في روايات إدجار والاس من الأذكياء كما في رواية The Dark Eyes of London ورواية The Bregand

البريد . هذا إذا استعمل كل منهما ذكاه في إجادة عمله ، ولكن الذكاء وحده غير كاف ما لم يؤزره خلق كريم متين . والتاريخ يثبت أن عطاء العالم ، والمصاميين للبرزين في الأعمال العامة ، قد امتازوا بالعقل الذكي ، والخلق القوي ، وأن من لم يتمتع منهم - إلى جانب الذكاء - بالخلق القويم ، قد رأى انهيار عظمته المؤقتة قبل وقته .

وفي الحياة اليومية يساعد الذكاء على النهيؤ الخلقى المناسب . فالذكي يعرف الظروف المحيطة به بسرعة ، ويدرك ما تتطلبه هذه الظروف ، ويعرف أيضاً قانون يثبته الخلقى والاجتماعي ، فيتهيأ بلباقة ، ويتكيف بمهارة وقدرة ليناسب بين تصرفاته وبين يثبته وفقاً لقانونها الخلقى الاجتماعي المعتمد ، بمكس الفبي أو قليل الذكاء الذي لا يدرك بسرعة - أو مطلقاً - العلاقات بينه وبين الأحوال الطارئة عليه ، أو بينه وبين القانون الخلقى ، فتصدر تصرفاته عن خطل وحق ، ويحاول العمل في نخبط .

وقد يكون ذكاء المرء مصدر شقائه وفساد أخلاقه ، فيجعل منه ثأراً على نفسه وعلى المجتمع ، أو نصاً ما كراً ، أو مجرماً غادراً . ويحدث ذلك في الغالب إذا كثرت حاجات الفرد ومطالبه ورغباته ، ولم يقو إنتاجه المادى المحدود ، أو لم تساعده البيئة ، على الوفاء بهذه الحاجات والرغبات ، فهو إما أن يضحي بهذه المطالب ويكبت هذه الرغبات ويكون حينئذ عرضة للنوبات المصبية والاضطرابات النفسية ، وإما أن يلجأ إلى تحقيق هذه المطالب وتلبية الرغبات بطريق غير مشروع ، فيحتال ويسرق ويفس ، ويصطنع كل السبل التي يصل بها إلى غايته ويقفل من عقاب القانون . وقد يخونه ذكاؤه فيقع في يد القضاء ، ويبقى الجزاء . ثم يعود سيرته الأولى بعد الجزاء ، ويسنسخ هذا النوع الجديد من حياته الشريرة . لأنه سقط فهوى ولم يجد من ينقذه بمعرفة سبب الجرم ؛ فإن كان في نفس المجرم حاول إزالته وتوجيهه إلى الصالح المنتج المفيد ، وإن كان في البيئة عمل على محوه وخلق تناسب بين البيئة وبين الفرد . ولذلك نجد في السجون الأوربية معاهد للتنظيف والإصلاح ، ولتعليم الفنون والصناعات المختلفة كالزراعة ، والتجارة والطباعة ، والحياكة الخ حتى يجد المسجون أمامه بعد مغادرة السجن وسائل الحياة التي تناسب مع ذكائه . والتي تساعده على

لنا مقدار زيادة ضمايف العقول من الأطفال المجرمين والتمردين .
ويقول الأستاذ برت أيضاً^(١) : « ولا يتعارض الذكاء الفائق
مع التمرد ، ولكن الشهادة تدل على أن وجوده بأية درجة بين
التمردين يمد نادراً »

ويرى الأستاذ في كتابه « للطفل التمرد^(٢) » أنه من
الضروري أن ندرس الطفل التمرد لا من ناحية ذكائه وضعفه
العقلي فقط ، بل يجب أن ندرس بيئته ولا سيما المنزلية ، لأن
حال الأسرة الوجدانية المضطربة ، وإهمال الطفل وترك حبله على
غاريه ، كل هذا له من الأثر ما لضعف العقل في إيجاد روح
التمرد والإجرام عند الطفل . والفتاة البالغة التي لا تجد في المنزل
إلا شقاء وسوء معاملة تسرع إلى هاوية الفساد ، وبخاصة لأن
ضعف عقلها يعرقل نجاحها في الحياة الاقتصادية والعملية والاجتماعية
فلا تعرف كيف تحمل معضلاتها ، وتخاص من شقاء المنزل بطريق
تضمن لها الحياة وشرف البرض

وقد أجرى الأستاذ لويس ترمان بعض التجارب لمعرفة
العلاقة بين الذكاء والخلق وقارن بين مجموعة من الأطفال ذوي
ذكاء مختلف الدرجات تبلغ ٥٣٣ ومجموعة أخرى مساوية لها من
الأطفال النابغين ، ووجد أن المجموعة الثانية على خلق أسوأ من
الأولى في صفات الصدق والأمانة والشفقة وبقلة الضمير ،
كما وجدها تمتاز جداً بالثابرة والإرادة القوية

من أجل هذا عنت الأمم الأوربية والأمريكينة بتعيين
علماء نفسيين في المحاكم ، وفي أقسام البوليس ، وفي مجالس
التعليم الإقليمية والمدنية ، ليمينوا القضاة ورجال البوليس ورجال
التعليم بدراسة الأطفال والسكران التمردين^(٣) والمجرمين الذين
يشك في ذكائهم ومقدرتهم العقلية ، حتى يكون الجزاء مبنياً
على ظروف الجريمة وحال المجرم العقلية . وفي لندن والمدن
الأمريكينة الكبرى — غير علماء النفس هؤلاء — عيادات
سيكولوجية Psychological clinics يُرسل إليها التمردون
والمجرمون لفحصهم والتقرير عن حالهم .

(بحث الرضا — السودان)
عبد العزيز فهمر المحيبي

كسب ما يحقق رغبانه فينتجه بذلك ذكاؤه أتجاهها مستقيماً صالحاً
ويتحقق المثل السائر « السجين مدرسة وتهذيب وإصلاح »

وقد لاحظ علماء القيادة المهنية Vocational Guidance
أن أكثر العمال في المصانع تدمراً ، والموظفين في الشركات
طعماً هم أولئك الذين وضعوا في مهنة أو وظيفة دون مستواهم
الذكاوي ، فيكون هؤلاء دائماً مصدرراً للمؤامرات ، وتدمير
الإضراب ، والخروج على النظام . وكذلك وجدوا أن قليلي^(١)
الذكاء أو الأغبياء إذا ما وضوا في مناصب ذات تهمة وفوق
مستواهم الذكاوي ، قصر ذكاؤهم دون القيام ببعابهم ، فيمروم
الاضطراب والحلم ، وينتمسون في النومات والملاذ غير المشروعة ،
ويسرفون ، وتكون عاقبتهم الجنون . فعدم التناسب بين الذكاء
وبين العمل الذي يقوم به الفرد قد يقود لا إلى فساد في الأخلاق
فحسب بل إلى الأمراض المعنوية والجنون

أنفق البروفسور سِرل برت ، رئيس معمل علم النفس
وأستاذ المادة بجامعة كوليدج في لندن ، ست سنوات بفحص
فيها سيكولوجيا الأطفال التمردين Delinquents وقياس ذكائهم .
وقد قاس ذكاء ما يزيد على مائة ممن تتراوح أعمارهم بين ست
سنوات وخمس عشرة ، وكان هؤلاء الأطفال يمثلون كل أنواع
البيئات المختلفة في لندن ، وقد أرسلوا إليه لارتكابهم بعض
الذنوب الاجتماعية كسرقة بخرس الأشياء ، وكالشفاعة والاعتداء
على المارة أو على زملائهم بتذف الأحجار ، وكإتلاف مال الغير ،
والسقوط الجنسي ، وخروجهم عن طاعة آبائهم . وقد وجد
أن متوسط العمر الزمني لهؤلاء الأطفال التمردين هو ١٣ر٢ بينما
كان متوسط عمرهم العقلي هو ١١ر٣ . وقد استنبط من هذه
النتيجة « أن الأطفال التمردين يتفص عمرهم العقلي عن عمرهم
الزمني بنحو سنتين^(٢) » ثم استنبط — بعد دراسة وإحصاء —
أن « ٧٪ من هؤلاء الأطفال ضمايف العقول أو ناقصوها »
feeble minded or defective . هذا وإذا علمنا أن نسبة ضمايف
العقول بين جميع السكان — كما ثبت نظرياً — هي ٢٪ اتضح

(١) انظر كتاب الأستاذ ولم مكيدوجل An Outline of Abnor-
mal Psychology طبعة لندن سنة ١٩٢٦ م
(٢) انظر كتاب Mental and Scholastic Tests للأستاذ سِرل برت
طبعة سنة ١٩٣٣ م

(١) صفحة ١٨٨ من هذا الكتاب

(٢) The Young Delinquent طبعة لندن سنة ١٩٢٥ م

(٣) أصبحت هذه الدراسة الآن داخلة ضمن علم النفس الجنائي